



بين الراند وابن اللواء !!

بقلم: رانف محمد الويشي

27 نوفمبر 2016

تتزامن بذاكرتي ثلاث صور ترفض المغادرة ، بذلت جهدا كي أتناساهم بعد أن فشلت في نسيانهم ، رفعت رايتي البيضاء معلنا هزيمتي ، لكن الأمر تحول في الفترة الأخيرة إلي مطاردة بين ذاكرتي التي تعدو لها وبين تلك الصور الثلاث التي تأبى الانزواء ، ولو لهدنة مؤقتة !

الصورة الأولى انتشرت عالميا ، كانت في تسعينات القرن الماضي وعلي أحد معابر قناة السويس ، التقط الصورة فوج سياحي كان يزور سيناء ، كانت الصورة لثلاثة أشخاص ، الأول كان ضابطا والثاني كان جنديا والثالث كان أحد السائحين ..

كان الضابط يضرب بقدميه الجندي المنبطح أرضا ، بينما يحاول الجندي تغطية رأسه بيديه ، أما السائح فكانت يده ممدودة ببعض الأموال للضابط ، لقد ظن السائح أن الأموال ربما توقف ضرب الجندي !

كنت أظن بعد إطلاعي علي الصورة أن هذا هو الجزء المر فيها ، لكن التفاصيل كانت أكثر مرارة ، لقد كان الفوج السياحي من إسرائيل ، أي أن السائح الذي كان يستجدي الضابط ويقدم أموالا له كان إسرائيليا !!

ظننت أنها دعاية مضادة صنعتها إسرائيل ، بعد أيام قرأت مقالة لأنيس منصور ينتقد فيها الضيوف الذين التقطوا تلك الصورة ، أيقنت أن الواقعة كانت حقيقية ، من المبكيات المضحكات أنه أسدي في مقالته للإسرائيليين نصحا بالتزام واجبات الضيافة !!
غلطان يا أنيس أفندي ، بدلا من توجيه العتاب إلي السائحين كان عليك أن تطالب بمحاكمة هذا الضابط الذي تعامل مع هذا الجندي الخادم لبلده بهذا الأسلوب الخالي من الرحمة والرجولة !!

الصورة الثانية كنت شاهدا عليها ، كانت قبل الأولى بعدة سنوات ، كانت في مركز تدريب الدفاع الجوي بمنطقة دهشور ، فبعد أن قرر العميد " ملوخية " حرماننا من أجازة نهاية الأسبوع قرر إذلالنا ! رغم أنه هو من أخطأ ! وهو من فشل في إدارة طابور الصباح بصورة محترمة تتناسب مع رتبته كعميد ! ولما فلت الأمر من يده طبق – للتغطية علي خيبته – كالعادة نظرية العسكر المعروفة : باب السجن أقرب من باب المسجد !!

(ملاحظة : للمزيد حول تفاصيل ما فعله ذلك العميد مع الجنود ننوه إلي مقال بعنوان : سيادة العميد " ملوخية " ورفاقه الخمسة ، لكتاب هذا المقال علي مدونته المذكور عنوانها أسفل هذا المقال ..)

كانت قرارات الإذلال للعميد " ملوخية " بعد أن حرماننا من الأجازة هي ما يلي :

- 1- مغادرة العنابر والنوم في خيام متهالكة بالصحراء !
- 2- تنظيف منطقة الخيام من أي قطعة زلط ولو صغيرة وبعمق 10 سم !
- 3- شرب المياه من خزانات قذرة تحت الأرض بها فئران غارقة ، نتج عن ذلك أن نرف أغلب الجنود دما من مؤخراتهم لتسممهم !
- 4- الجري منذ الصباح وحتى الظهر ، مع فترات راحة تكاد تكفي لالتقاط الأنفاس !

أمضينا اليوم الأول من العقاب بصعوبة بالغة ، كان معي في الخيمة شاب اسمه محمد ، كان أبوه لواء شرطة ويحتل منصبا رفيعا ، كنت ألاحظ أن فائلة محمد - أثناء تغيير ملبسه - ينتشر بها الثقوب ، لقد اتسع في بعضها الخرق علي الراقع ، أنبأت هذه الثقوب عن طهارة والده من حرام " عشعش " في تلك الوزارة ، أكدت أخلاق محمد الرفيعة وابتسامته وتواضعه مع " طوب " الأرض أن بيتا محترما فقط هو من يخرج منه هكذا شاب ، لكن ما رأيت لم يكن كافيا لي ، كان لابد من حوار يحسم الموقف :

- ألم يكن من الأفضل لك يا محمد أن تكون ضمن المجندين من منازلهم ، كأبناء اللواءات؟!
- أوبيا يرفض ، هو قال لي " زيك زي أي مجند فقير " !

- علي الأقل كان يعفك من مركز التدريب !
- الواسطة عند أبويا تعتبر جريمة ، والرشوة خيانة عظمي ، حاولوا معه كثيرا في الوزارة وفشلوا !
- طيب أرجوك يا محمد خلي بالك ، انت اليوم كنت بطيئا في الجري ، أنا خايف عليك من عدوانية الضباط !
- أعمل إيه ! أنا وزني زيادة كما تري ، جاموسة بقدمين ! حاولت التخسيس وفشلت !

في اليوم التالي جاءنا الرائد عبد المنعم ، بدأنا الجري بأوامر منه ، كان من الواضح أنه سيكون يوما كحلي اللون من بدايته ، الرائد يبحث عن ضحية بيننا ليكون عبرة !

كنت - كحكمдар للكثبية - أجري في مقدمة الكثبية والزملاء بجواري يمينا ، كان محمد يتراجع ، أصبح هناك فاصل بين الكثبية وبينه ، ترك الرائد مكانه وبدأ يقترب من خط الجري ، شعرت أنه يريد أن يكون قريبا من محمد عند مروره ، رأيت الغدر في وجهه ، أخذت في التراجع بحجة تشجيع الزملاء كي أكون قريبا من محمد عندما يمر من أمام الرائد ، ثم أخرج ما عنده :

- لماذا لا تجري زي زميلك يا عسكري ؟
- والله يافندم أنا أبذل كل طاقتي لكن ظروفني لا تساعدني (كان محمد يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة بعد كل كلمة)!
- إنت فاكِر إن علي راس ميتين أمك ريشة !

بدأ الرائد في الضرب ، كانت اليد ويلبها شلوت ، سقطت نظارة محمد ، ثم سقط محمد ! مازالت الكثبية تجري ، مازلت أقف بجوار محمد ، ومازال الضرب والسباب علي أشدهما !

- اسمك إيه يا عسكري ؟!
- محمد يافندم (أجبرت قسوة الضربات محمدا علي البكاء)!
- إنت فاكِر أبوك لواء يا ابن الـ....، أبوك بيشتغل إيه ؟!
- لواء يافندم ..

توقف الضرب علي الفور ، أخذ الرائد ينظر لي ، أصبح وجهه مصفرا وابتعد عن محمد عدة أمتار ، ثم ناداني :

- إنت تعرف محمد كويس ؟!
- طبعا يافندم أعرفه ، هو معي في الخيمة !
- أبوه لواء فعلا أم يكذب ؟
- أبوه لواء يا فندم !
- شرطة أم جيش ؟
- مش عارف يا فندم ، أنا ممكن أسأله !
- لالا ! بلاش ! طيب أبوه اسمه إيه ؟
- مش عارف يا فندم ، أنا ممكن أسأله !
- مفيش داعي !

كنت أعرف وظيفة والد محمد واسمه ، لكنني كنت أعرف أيضا أن هدف الرائد هو معرفة هل الوالد لواء بالجيش أم بالشرطة وأين يعمل ! كي يحدد عيار الشلوت المضاد الذي سيتلقاه :

- إنت دلوقتي تأخذه وتخليه يستريح !
- طيب يا فندم خلي الكثبية تستريح أيضا ، عشان بس المنظر العام!
- معاك حق ، إعطي أوامر بالاستراحة !
- حاضر يافندم !

طلب الرائد مني أن أصحبه إلي سيارة الجيب التي كانت بجانب طابور العقاب ، وطلب من محمد أن يستريح داخل الكنتين مع تقديم طعام خاص له ، وبقيت الكثبية تستريح في مكان آخر ، هكذا كانت خطته في هذا الفصل الثلاثي حتي ينتهي الحديث بيننا :

- إنت باين عليك حكمدار راجل وابن بلد وعشمي فيك كبير !
- العفو يافندم !
- هل يمكن أن تلم الموضوع ؟!
- تحت أمرك يافندم !
- سيبك من أفندم دي بقي ! إحنا دلوقتي إخوة ، سألتقي بك في المساء ، أنا ضابط عظيم الليلة !

كنت أعرف من خلال خبرتي بعهد أن والده قد لا يتأثر كثيرا بما حدث ، فهو يريد لابنه الاعتماد علي نفسه ، كلمات محمد عن والده ما زالت في مخزون ذاكرتي تجدد الأمل كلما فقدته في لواءات مصر ، لكن من ناحية أخرى كان من الخطأ أن أخبر الرائد بذلك حتي لا ينفش " ريشه " مرة أخرى ، كانت الأمور في لحظات قد تم ترتيبها في عقلي لمصلحة زملائي ، شرط ألا يلاحظ ذلك ، وانتظرت لقاء المساء معه :
- إيه الأخبار مع محمد ، سبع ولا ضبع ؟
- والله يافندم أنا عندي اقتراح أعرضه علي حضرتك حتي نعدي هذه الأزمة علي خير !
- تفضل !

- بلاش ينزل محمد أجازة كما اقترحت حضرتك ظهرا ، يمكن يخز بكلام بالمنزل ، سيبقي معي بالخيمة ونعفيه من الطابور ، أما طابور الزملاء فلا بد من تخفيضه لأدني مستوي ، اترك لي إدارة الموقف حتي لا يشعر الزملاء بضعف بموقفنا ، والبركة في الصول هاشم معي!
- أنا موافق!
- لي رجاء عند حضرتك ! أفراد الكانتين تهيئ الزملاء ، ده بيع وشراء ، كمان إيه المانع يافندم إن نشاهد الماتشات في التلفزيون طالما يتحقق الانضباط !
- من بكره ستكون هناك تعليمات بعقاب أي واحد في الكانتين لا يحترم العساكر ، والتلفزيون بالكانتين سيكون مفتوحا وقت الماتشات !

(ملاحظة : بحثت عن محمد طوال ثلاثين عاما مضت في كل مرة أنزل فيها لمصر ، لو كان معي هنا في أمريكا ، لكان لها طعم آخر ! كم من مرة لمحت عيني اسم عائلته بصفحات الفيس فأرسلت لأصاحب الاسم مناشدا إن يوصلني بمحمد ، ولا مجيب !
هامت بك العين لم تلق سواك
من أخبر العين أن القلب يهواك ؟ !) ..

الصورة الثالثة كان صاحبها السيد الجديد للقصر ، المشير السيسي ، لقد ألقى في 3 مارس 2014 خطابا بالكلية الحربية في حفل تخريج دفعة جديدة ، ردد ثلاث مرات في خطابه لهم الجملة التالية : " أنتم أفضل شباب مصر " !

من حيث الشكل : يمكن أن أقول أن تلك الجملة التي كررها ثلاثا أعادت ذاكرتي لما حدث علي معبر القناة للعسكري البائس ! وما حدث لزميلي محمد في دهشور ! وما حدث لست البنات في ميدان التحرير ! وما حدث لها بعد ذلك بدقائق علي يد ضابط المظلات الذي أخرج لها عضوه الجنسي وهي في قيودها أمام مبني مجلس الوزراء ! وما حدث في ميادين مصر ! وما حدث ويحدث في سجون وأقسام مصر !

من حيث المضمون : لا أعتقد أن شابا حصل بشق الأنفس علي مجموع فقير في ثانوية عامته هو أفضل شباب مصر ! أري ما ذكره السيسي تقسيما وتفنيئا لشباب مصر ! وأراه تقزيما وتينيسا لعباقرة شبابها ! وأراه إعلاء لدولة " يحيا الجهل وتحيا البلطجة " !

هنيئا لكم بأفضل شباب مصر ! وهنيئا لإسرائيل بعلمائها الشباب !
لقد التقط الضابط ، أبو نجمة ، الجملة وهو في شبابه الأخضر ! سيعيد فورا ترتيب أوراقه ! ومهما يفعل سيكون حرا ! فمصر التي في خاطره عبارة عن جيش له دولة ، وليست دولة لها جيش ! هكذا أصبح المصريون في دولتكم العميقة ، جثة تغسلونها كما ترغبون ! ونعم الله الحكم ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com